Metonymy in Abdul Qaher Al-Jurjani's Book "Dala'il Al-I'jaz"

Manal Saleh Alsaedi (PhD)
Department of Rhetoric and Criticism - College of Arabic Language
Umm Al-Qura University - Kingdom of Saudi Arabia
mssaedi@uqu.edu.sa

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i147.4136

Abstract:

The research paper aims to examine the term "metonymy" as used by Abd al-Qaher al-Jurjani in his book "Dalail al-I'jaz", to identify its role in the rooting of this science and the relationship between metonymy as an art and its meaning. It is organized into three sections, an introduction section and a conclusions section. The introduction consists of Abdel-Qaher's definition of metonymy, with an evaluation of his definition. The research then focuses on interpreting the poetic evidence in Abd al-Qaher al-Jurjani's use of metonymy, followed by a discussion. Moreover, the author then focuses on other scholars' treatment of metonymy. Finally, the conclusions section summarizes the most important findings.
Keywords: metonymy - Abdul Qahir Al-Jarjani - meaning.

الكناية عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز

د. منال صالح الصاعدي
معيدة بقسم البلاغة والنقد–كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى– المملكة العربية السعودية

(مُلَخَّصُ البَحث)

يهدف البحث إلى دراسة مصطلح الكناية عند عبد القاهر الجرجاني (ت: ٣٧١هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز"، ومعرفة جهده في تأصيل هذا الفن، وتفصيل مسائله، وتحليل شواهده وبيان علاقته بمعنى المعنى التي يقوم عليها الكتاب.

وقد انتظم البحث في مقدمة ومطلبين وخاتمة. تضمن المطلب الأول تعريف عبد القاهر (ت: ٣٧١هـ) للكناية ونقد التعريف، فبيان لعلاقة الكناية بمعنى المعنى وسياقات ورودها عنده ومنهجه في دراستها. يليه المطلب الثاني ويختص بتأويل الشواهد الشعرية الواردة في باب الكناية ومناقشة تحليله للشواهد ثم بيان ما فات عبد القاهر ذكره في هذا الباب وذكره غيره من المتأخرين. وقد ختمت الدراسة ببيان أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الكناية– عبد القاهر الجرجاني– معنى المعنى.

المقدمة:

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على من أسلم إليه ربه زمام الفصاحة والبلاغة، فكان أحق بها وأهلها. اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله وأصحابه وأتباعه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن هذه الدراسة تهدف إلى دراسة مصطلح الكناية عند "عبد القاهر الجرجاني" (ت: ٣٧١هـ) من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، وسأتناول الموضوع على وفق مطلبين:

الأول: تعريف الكناية وأهميتها ويتضمن دراسة تعريف الكناية ونقد التعريف، أهميتها عنده، وعلاقتها بمعنى المعنى، وسياقات القول التي وردت فيها، ومنهجه في دراستها، والإضافات التي أثرى بها هذا الأسلوب، وأفاد منها من بعده وأخيرا الكناية بعد الجرجاني.

الثاني: تأويل الشواهد الشعرية التي ساقها للاستدلال، و أبرز الملحوظات على الشواهد وتحليله لها، وما فات الجرجاني ذكره في باب الكناية وذكره من بعده. وتضمنت الخاتمة عرضًا موجزًا لدور الجرجاني في تأصيل أسلوب الكناية وأثره فيمن بعده.

المطلب الأول : تعريف الكناية وأهميتها.

الكناية عنده: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه". (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٦٦)

يعكس تعريف الجرجاني الجانب اللغوي والبلاغي للكناية. فقوله: "أن يريد المتكلم": يدخل في التعريف عموم المتكلمين دون تخصيصه بطائفة معينة. وقوله:" إثبات معنى من المعاني": يفصح الجرجاني عن أن الغرض من الكناية إثبات المعنى فحسب دون زيادة أو مبالغة. ويعني بقوله:" فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ": أي لا يعبر عن المعنى بلفظه الذي استعمل له.

وقوله: " ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود": يشتغل الجرجاني على نطاق المعاني فالكناية ليست في استعمال لفظ مكان آخر وإنما في اختيار معنى رديف(تابع) للمعنى الأول، أطلق عليه اسم (معنى المعنى). والعلاقة بين المعنى الرديف والمعنى الأول أن يكون دليلا وتابعا له. وأما قوله: " فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه": فهو قول دقيق منه أشار فيه إلى عنصرين فاعلين في الكناية هما: الإيماء الذي يعكس خفاء المعنى الثاني ودقته. وعنصر الدليل الذي يعتمد في استنباطه على العقل.

وقد قدَّم الإيماء على الدليل؛ لأن النفس تدرك الإيماء والإشارة وتنفعل بها، فالمعنى الذي يتسبب من طريق النفس قبل العقل يتمكن من الوجدان، ويكون أبلغ في التأثير من الدليل العقلي.

لقد تحدث النقاد عن الكناية قبل الجرجاني منهم قدامة بن جعفر(ت:٣٣٧هـ) في كتابه نقد الشعر لكنه استعمل مصطلحًا آخر هو الإرداف يقول في تعريفه: "أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع". (جعفر: ١٣٠٢هـ: ص:٥٧).

ويظهر من التعريف تأثر الجرجاني بتعريف قدامة للإرداف إذ اعتبر المعنى الثاني ردفًا للمعنى الأول وتاليًا عليه. لكن تعريفه للكناية أوضح مدى التلاصق بين المعنى الثاني والأول، إلى جانب إبرازه لمستوى خفاء الدلالة الذي تتميز به الكناية، والذي لم يظهر في تعريف قدامة للإرداف.

وعلاقة الكناية والارداف عند الشيخين "أن الأول ردف للثاني وتابع له، واستعمل هذا الوصف يجسد التوالي المباشر الملاصق بين المكنى به والمكنى عنه حتى تصبح العلاقة بينهما كالعلاقة بين اللفظ ومعناه الموضوع له، فكثرة الرماد ردف للكرم، ونؤوم الضحى ردف للترف" (شادي، ١٩٩٥م، ص٣٩١)

وبناء على هذا الفرق في تعريف المصطلحين عند الشيخين يظهر تفوق تعريف الجرجاني؛ لأنه أبرز عناصر الكناية ومناط فاعليتها (الخفاء – الإيماء– الدليل)، مع بقاء الفضل لقدامة بالسبق في وصف العلاقة بين المعنى الثاني والأول.

أما أهمية الكناية فهي عنده من أهم الفنون البلاغية؛ لذا قدَّمها في كتابه الدلائل على الاستعارة والتمثيل وقد وصفها بأنها " فنٌّ من القول دقيق المسلك، لطيفُ المأخذ. " والمعنى الكنائي من وجهة نظره أبلغ من التصريح، يقول: " قد أَجمعَ الجميعُ على أن "الكنايةَ" أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ، والتعريضَ أَوْقَعُ من التَّصريح، وأنَّ للاستعارةِ مزيةً وفَضلاً، وأنَّ المجازَ أَبداً أبلَغُ منَ الحقيقة، إلا أَنَّ ذلك، وإن كان معلومًا على الجُملة، فإنّه لا تَطمئنُّ نفْسُ العاقلِ في كُلَّ ما يُطْلَبُ العلمُ بِه حتى يَبْلُغَ فيه غايتَه، وحتى يُغْلِغِلَ الفكْرَ إلى زواياهُ، وحتى لا يَبْقى عليه مَوضعُ شبهةٍ ومكان مسألة. فنحن وإنْ كنَّا نَعْلم أَنك إذا قلْتَ: "هو طويلُ النِّجاد، وهو جَمُّ الرماد"، كان أَبْهى لِمَعْناك، وأَنْبلَ مِن أَن تَدَعَ الكنايةَ وتُصرِّح بالذي تُريدُ." (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٧٠)

يكرر الجرجاني في موضوع آخر عنونه بـ "فصل دقيق في "الكناية وإثبات الصفة عن طريقها" القيمة البلاغية لاستعمال الكناية بمستوياتها المختلفة من تعريض ورمز وإشارة وتفوقها جميعا على التصريح: "وكما أنَّ الصفةَ إذا لم تأتِكَ مُصرَّحاً بذِكْرها، مكشوفاً عن

وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخمَ لشأنها، وألطفَ لمكانِها، وكذلك إثباتك الصفة للشيء ثبتها له، إذا لم تُلْقِه إلى السامع صريحاً، وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارة، كان له من الفضلَ والمزيَّة، ومن الحسْن والرونق، ما لا يقلُّ قليلُه، ولا يُجْهَلُ موضِعُ الفضيلةِ فيه".(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٦)

وقد وضحّ الجرجاني مزية الكناية عن غيرها من الأساليب البلاغية في أنها" تقدم لك المعنى مقرونا بدليله، وتبرز المعقول بصورة المحسوس، ويعبر بها عما يستقبح ذكره. كما أنها وسيلة من وسائل الإقناع بالمعنى عن طريق إثباته مؤكدا "بالدعوى والدليل". (شادي، ١٩٩٥م، ص٤٤٦)

وتتميز الكناية كذلك بأنها "صورة حقيقية للمعنى فلا خيال فيه ولا مشابهة، وعندما نقول عض فلان يده فإن عض اليد صورة ملابسة للندم تابعة له ومعبرة عنه ودالة عليه حتى صار بين الصورة والمعنى تلازم شديد ، فيمكن بناء على هذا التلازم أن نكني عن الندم بالعض على اليد ولو لم يكن هناك عض ولا يد في الحقيقة ". (شادي، ١٩٩٥م، ص٣٩٢)

علاقة الكناية بمعنى المعنى:

يرى الجرجاني أن للكناية معنيين: معنى يفهم من ظاهر اللفظ وهو المعنى الحقيقي، ومعنى ثان أو ما يسميه "معنى المعنى" وهو المعنى الكنائي ومن دونه لا تكون الكناية. ومن ذلك قوله: "أو لا تَرى أنكَ إذا قلْتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْر"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ"، أو قلتَ في المرأةِ: "نَؤُومُ الضحى"، فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانياً هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثيرِ رمادِ القدرِ" أنه مضيافٌ، ومن "طويلِ النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مُتْرَفَةٌ مخدومةٌ، لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها." (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٢٦٢)

ويظهر أن الكناية عنده تقع في المعنى العقلي الذي يتوصل له المرء بالاستدلال وليس في اللفظ الظاهر، " وإذا نظرْتَ إليها وجدْتَ حقيقتهَا ومحْصولَ أمرِها أَنها إثباتٌ لِمعنىً، أنتَ تَعْرِفُ ذلك المعنى مِنْ طريقِ المعقولِ دونَ طَريق اللفظ. ألاَ ترى أَنكَ لَمَّا نظرْتَ إلى قولهم: "هو كثيرُ رَمادِ القِدْر"، وعرفْتَ منه أنَّهم أرادوا أَنه كثيرُ القِرى والضِّيافة، لم تعرِفْ ذلك مِنَ اللفظِ، ولكنَّك عرفْتَه بأن رجَعْتَ إلى نَفْسك فقلت: إنه كلامٌ قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرمادِ، فليس إلا أَنَّهم أرادوا أن يَدلُّوا بكَثرْة الرماد على أَنه تُنْصَبُ له القدورُ الكثيرةُ، ويُطْبخ فيها للقِرى والضيافةِ، وذلك لأَنه إذا كَثُرَ الطبخُ في القدورِ كثُرَ إحراقُ

الحطَبِ تَحتَها، وإذا كثُرَ إحراقُ الحطَبِ كَثُرَ الرمادُ لا محالة. وهكذا السبيلُ في كلِّ ما كانَ "كنايةً". (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٤٣١)

كما أنه يفرّق بين الغرض من الكلام "غرض المتكلم من قوله" والدلالة المفادة من ترتيب معاني الألفاظ وتركيبها، أي أنه يميز بين معنى المتكلم وغرضه وبين دلالة التركيب. ويجعل الفرق بين ضربي التركيب كامنا في الدلالة المفادة ففي الضرب الأول دلالة وضعية وفي الضرب الثاني استدلالية عقلية". (المبخوت: ٢٠٠٦م، ص٤١)

سياقات ورود الكناية عند الجرجاني:

ورد حديث الجرجاني عن أسلوب الكناية في سياق حديثه عن أن المزية للنظم لا للفظ وحده، وتلك القضية الأم في كتابه الدلائل. ويرى أن المزية فيها ليست إثبات الصفة للموصوف بل في إثبات الصفة له من طريق أبلغ وآكد من التصريح. كما أن المعنى المعول عليه –عنده– ليس المعنى الظاهر المفاد من اللفظ المنطوق بل المعول عليه المعنى الذي استدل عليه العقل من اللفظ ومعناه الظاهر.

ومما لوحظ على أسلوب الجرجاني تكرار كلامه عن الكناية في سياقات مختلفة، وهذا المأخذ مرود عليهم؛ لأن الدراسة المتعمقة لهذه السياقات تظهر أنه كان واعيا بذلك بدليل اشارته بأن الكلام سبق وأن ذكر، حتى الأمثلة التي يتناولها "طويل النجاد– نؤوم الضحى – كثير الرماد " نفسها لكن اختلفت جهات دراستها فتارة يثبت أنها أبلغ وآكد من التصريح، وتارة يذكرها لبيان الأثر النفسي وما يسميه بالفضيلة الروحية، ويذكرها ثالثة مبينا طريقة الوصول للكناية، ورابعة لبيان أن تمام حسنها بطريقة نظمها.

وقد ذكر الكناية تحت فصول متعددة:

- فصل اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره من صفحة ٦٦ إلى ٦٩.
- ترجيح الكناية والاستعارة والتمثيل على الحقيقة من صفحة ٧٠ إلى ٧٣ .
- فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني مبحث النظر في الكناية صفحة ٤٣٠– ٤٣١ .
- فصل دقيق في الكناية وإثبات الصفة عن طريقها وأمثلة ذلك صفحة ٣٠٦–٣١٤.

منهج الجرجاني في دراسة الكناية:

اعتمد الجرجاني على المنهج التحليلي الوصفي في معالجة المسائل والشواهد، ويميل أسلوبه للاستطراد عند مناقشة الموضوعات وتحليل الأبيات. يذكر البيت ونظيره وتارة يفصّل في بيان جماليات الشاهد وتارة يجمل. ويلاحظ تعدد الفصول التي ذكر فيها الكناية وهذا سمت غالب في كتابه–رحمه الله– عدم عنايته بالتصنيف والترتيب والتبويب أو التسلسل في مناقشة الموضوعات. وأرى أن السبب قد يعود إلى السياق الذي يتحدث فيه فلديه أفكار

رئيسة في كتابة يذكر من الأساليب ما يتوافق معها ويترك غيرها في بابها. وقد اعتمد على التحليل الأدبي في دراسة الكناية وقد ساعده ذلك على إبراز جماليات الفن وتوضيح أفكاره. وقد تفوق في هذا الجانب على من سبقوه.

وقد أفاد العلماء من مبحث الكناية عند الجرجاني ومن أهمهم السكاكي(ت:٦٢٦هـ) الذي عرف الكناية بأنها: "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك". وقسّم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

- الكناية المطلوب بها نفس الصفة.
- الكناية المطلوب بها نفس الموصوف.
- الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف ويقصد بها الكناية عن نسبة.

وقسم كل منها إلى كناية قريبة وبعيدة بناء على اللوازم بين المعنى المذكور والمتروك. (السكاكي، ١٩٨٧م، ص ٤٠٢ -٤٠٧)

وقد استقرت الكناية على تعريف الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة ويقصد بها: " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه." (القزويني، ٢٠٠٣م، ص٢٤١)

المطلب الثاني: الشواهد الشعرية.

اهتم عبد القاهر بالشواهد التي ساقها ليوضح فكرته. وقد تنوعت الشواهد بين مقطوعات من كلام العرب كقولهم" هو طويل النجاد، و كثير رماد القدر، و نؤوم الضحى"، وشواهد شعرية. ويلاحظ على الأبيات التي اختارها اختلاف منهجه في عرضها فتارة يعرض صدر البيت وتارة عجزه، وقد يذكر أبياتا أخرى تتضمن ذات الكناية. ويهدف الجرجاني من تحليل صور الكناية. "تعليل مزية الكناية وفضلها على التصريح والحقيقة." (المبخوت، ٢٠٠٦م، ص ٤٣)

وقفات نقدية على تأويلات الجرجاني:

الشاهد الأول: إنَّ السَّماحَةَ والمُروءةُ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرجِ (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٦) ذكر أن السماحة والمروءة والندى مجموعة في ابن الحشرج ولم ينسبها له نسبة صريحة بل جعلها في القبة المضروبة عليه دلالة على كونها فيه ." وأراد الشاعر هنا أن يجعل مصاحبة تلك الصفات له مصاحبة حسية، فهي معه تلازمه وتمكث معه تحت قبة واحدة، وهذا يعني نسبة تلك الصفات إليه نسبة مؤبدة". (شادي، ١٩٩٥م، ص٤١٥)

وعدّ البلاغيون هذا البيت من باب الكناية عن نسبة "والمقصود بهذا النوع أن تذكر الصفة لكنها لا تنسب للموصوف مباشرة وإنما بطريقة تصور لزوم الصفة لهذا الموصوف ". (القزويني، ٢٠٠٣م، ص٢٤٦)

الشاهد الثاني: وما يَكُ فيّ مِنْ عيبٍ فإنّي ... جبانُ الكلبِ مهزولُ الفَصيل (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٧)

موضع الكناية : جبان الكلب – مهزول الفصيل

أراد الشاعر أن يمدح نفسه بالقرى والضيافة فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل " ثم وضح جماليات الكناية أكثر فبين أن هذا الممدوح جنابه مألوف وكلبه مؤدب لا يهرّ في وجه من يغشاه من الضيوف وإنه ينحر إبله ويترك فصالها هزلى من شدة الكرم .

وقد عد المتأخرون هذا البيت من الكناية البعيدة ؛ لأن الذهن ينتقل من جبن الكلب عن النباح في وجه من يقرب ويدنو من الدار، وخروج الكلب عن طبعه ، وهو كون النباح في وجه من لا يعرفه طبيعيا له ، ثم استمرار تأديبه على نباحه في وجه الأغراب لكنه حينما اعتاد على رؤية الوجوه الغريبة أصبح الكلب جبانا لا يهرّ في وجه من يقترب منه". (السكاكي، ١٩٨٧م، ص ٤٠٥) وقد ذكر الشيخ أن في البيت كنايتين لكل واحدة منهما ميزة عن الأخرى ولا يمكن أن تكون نظيرة لها.

الشاهد الثالث: أَصْبَحَ في قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ والمجدُ ... وفَضْلُ الصَّلاحِ والحسَبُ. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٨) استشهد عبد القاهر بالبيت ليكون القيد نظيرا للقبة في أول شاهد، فهي مثلها كناية عن نسبة.

الشاهد الرابع: رفعت له ناري، فلما اهتدى بها ... زجرتُ كلابي أَنْ يهِرَّ عَقُورها (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٨)

ذكر الجرجاني الشطر الثاني من البيت و عدّه نظيراً لقوله :"جبان الكلب" ، فهذا الكلب لم يعتد على رؤية الناس بسبب خروجه للرعي، لكن استمرار الزجر وكثرة الضيوف القادمين أصبح الكلب يعتاد الناس ولا يهر إن رأى غريبا يقترب منه. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٩)

الشاهد الخامس: لا أُمْتِع العُوذَ بالفصال ولا ... أَبْتاعُ إلا قريبةَ الأَجَلِ.(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٢،٣٠٩)

ذكر أنه نظير لبيت "مهزول الفصال" ولم يفصل القول فيه. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٩) ثم أعاد ذكر البيت كاملا عند حديثه عن تعدد الكنايات في البيت الواحد وعدّ الثانية نظيرةً للأولى. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٢). والبيت من الكناية عن صفة ومن

الكناية البعيدة وطريق الكناية أنه لا يترك العوذ – الأم – تفرح وتأنس بفصالها –الأبناء– بنحرها لأنه مضياف .

الشاهد السادس: لِعَبْدِ العَزيزِ على قَوْمِهِ ... وغيرهمُ منَنٌ ظاهِرَهْ

فبابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامر

وكلبك آنس بالزائرين ... مِنَ الأُمّ بالإبْنَةِ الزائرَهْ

ولم يفصل فيه الجرجاني(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٩)، و موضع الكناية في قوله: "كلبك آنس" فمن شدة كرم الممدوح وامتداد عطائه للقريب والبعيد فهو يأنس بهم، وكنى عن ذلك بأنس كلبه "والكلب لا يأنس إلا بمن يعرف ، وهذا دلالة على اعتياد رؤيته لهم ليلا ونهارا، ودلالة أيضا على ملازمتهم للممدوح لكرمه بالليل والنهار" (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٥٥) كما أن في البيت كناية أخرى في قوله :"أسهل أبوابهم" فهو دلالة على أن بيته مفتوح لا يشق على الوافد إتيانه .

الشاهد السابع: يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مَقْبلاً ... يَكلّمه مِنْ حُبّهِ وهْوَ أَعْجَمُ.

موضع الشاهد : يكلمه من حبه وهو أعجم .

استشهد به الجرجاني نظيرا للبيت السابق(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣٠٩). "وقد توصل إليها بأن جعل الكلب يبصر الزائرين وانتقل من ذلك إلى ألفته ومحبته إياهم إلى محادثته للمبالغة في ذلك الأنس، ودل ذلك على كثرة الزائرين والقاصدين له ومنه توصل إلى شدة كرمه. وقد خرج الشاعر من المبالغة والتناقض في التعبير عندما صدر البيت بـ(يكاد)" (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٥٧–٧٥٨). وقد انتقد كل من قدامة والمرزباني على جعله الكلب متكلما، ثم اتباعه بوصف العجمة وعدّوا التعبير من باب الاستعارة. (جعفر، ١٣٠٢هـ:ص٨٢) (المرزباني، ١٩٩٥م: ص ٢٦١) . ويرى د. محمد شادي أن" الصورة الأولى: جبان الكلب: مطبوعة ، أما الثانية فقد دخلتها الصنعة ، ونادراً ما تتفوق الصنعة الطبع " (شادي، ١٩٩٥م، ص٤٠١)

الشاهد الثامن: هَنّاكَ رَبُّكَ ما أَعطاكَ مِن حَسَنٍ وَحَيثُما يَكُ أَمرٌ صالِحٌ فَكُنِ. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠)

موضع الشاهد: وَحَيثُما يَكُ أَمرٌ صالِحٌ فَكُنِ

ذكره الشيخ في إثبات الصفة للممدوح عن طريق إثباتها في المكان الذي يكون فيه، فتلزمه للزومها الموضع الذي يحل به. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠) "والبيت كناية عن المقدرة على كل أمر ، وقد توصل لها بأن جعل كينونته حاصلة في كل مكان فيه أمر صالح ". (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٥٩)

الشاهد التاسع: يَصيرُ أَبانٌ قَرينَ السَّماحِ ... والمَكْرُماتِ مَعاً حيثُ صارا (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠)

موضع الشاهد: يصير معه حيث صار

البيت كناية عن نسبة كسابقه ، فالمكرمات ملازمة لأبان لا تفارقه تحل في المكان الذي يحل فيه .

الشاهد العاشر: فَما جازَهُ جُوْدٌ ولا حلَّ دُونَه ... ولكنْ يَصيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصيرُ (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠)

بين أن الغرض إثبات الصفة للممدوح بإثباتها للمكان الذي يكون فيه، "فهي ملازمة له وتصير في المكان الذي يحل به". (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠) وقد رأى السكاكي (السكاكي، ١٩٨٧م، ص ٤١٠) والقزويني من بعده أن في البيت كنايتين في الشطر الأول" كنى عن اتصافه بالجود ولذلك جاءت جود نكرة فكنى بها عن جميع الجود .وفي الشطر الثاني كناية عن لزوم الجود له". (القزويني، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٦-٢٤٧)

الشاهد الحادي عشر: يبيتُ بمنجاةٍ مِنَ اللَّوْم بيْتُها ... إذا ما بُيوتٌ بالملامَةِ حُلَّتِ

ذكر أن البيت في وصف المرأة بالعفة ولم يوضح موضع الكناية ولا المغزى منها. (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٠).

" فالكناية في قوله : يبيت بمنجاة من اللوم بيتها: فقد نفى اللوم عن البيت الذي يشتمل عليها، وذلك سعيا إلى نفي اللوم عنها هي ، وهذا كناية عن نسبة العفة والشرف إليها من أبلغ طريق وأقواه ، لأن نجاة بيتها من اللوم دليل على طهارتها وعفتها ". (شادي، ١٩٩٥م، ص٤٢٠)

والبيت من الكناية عن نسبة " ، وفي البيت كناية ثانية في قوله :"فإذا بيوت بالملامة حلت" وهي كناية عن عدم طهارة أصحابها .وفي البيت لطائف بلاغية غير الكناية في قوله: يبيت بيتها : فهو مجاز عقلي حيث أسند البيات للبيت، وإنما البيات لأهل البيت، ودلالته عموم الهدوء والسكون في دارها".(الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٦٤-٧٦٥)

الشاهد الثاني عشر: بَنَى الْمَجْدَ بَيْتاً فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُه ... عَلَيْنا، فأَعْيى الناس أن يتحولا (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١١)

قال عنه الجرجاني : "قد أخرج في صورة أغرب وأبدع" (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١١)، ولم يوضح وجه جمال الصورة ولعل الجمال آت من تجسيد المجد وكأنه بيتٌ راسخ الدعائم ،وأضمر التشبيه في النفس كناية، فحذف المشبه به وأتي بشيء من لوازمه وهو البناء، ثم ذكر استقرار تلك الدعائم على قبيلته، والفاء للدلالة على أن المجد بمجرد أن

بناه أسرع واستقر عندهم وبيان شدة رسوخه فيهم، فهو قد أعيا الناس فلم يتمكنوا من تحويله عنهم، فهو ثابت لهم على مر العصور". (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٦٥-٧٦٦)

الشاهد الثالث عشر: أوما رأيتَ المجدَ أَلْقى رحْلَه ... في آلِ طلحةَ ثُمَّ لَمْ يَتحوَّلِ(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١١)

وهذا آخر على الكناية عن نسبة، فالشاعر" جَعَلَ المجْدَ والممدوحَ في مكانٍ، وجعَلَه يكونُ حيثُ يكونُ" ولم يزد الجرجاني على ذلك. وقد عدّ السكاكي الكناية في البيت من"الإيماء والإشارة" لقلة لوازمها. (السكاكي، ١٩٨٧م، ص ٤١١) "وقد صوّر الشاعر المجد برجل شريف له رحل يخص بها من يريد، وحذف المشبه به، وجاء بشيء من لوازمه، وهو إلقاء الرحل، وخص به آل طلحة، ووصفه بعد التحول فلزم من ذلك كونه محله، وموصوفه آل طلحة". (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٦٧)

الشاهد الرابع عشر: ظَلِلْنا نَعودُ الجودَ من وَعْكِكَ الذي ... وجَدْتَ وقلنا اعْتَلَّ عُضْو مِن المَجْد (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١١)

ويعلق الجرجاني على البيت: "واعلمْ أنه ليس كلُّ ما جاء كنايةً في إثباتِ الصفةِ يَصْلحُ أَنْ يُحْكَمَ عليه بالتناسُبِ. معنى هذا: أنَّ جعْلَهمُ الجُودَ والكَرَمَ والمجْدَ يَمْرضُ بِمَرضِ الممدوح" (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١١). وتفسير الكناية أن الشاعر جعل الجود يمرض تبعا لمرض الممدوح، لأن الجود ممثل فيه ملازم له، ولم يوفق في ذلك.

الشاهد الخامس عشر: أَبَيْنَ فمَا يَزُرْنَ سِوى كَريم ... وحسْبُكَ أَن يَزُرْنَ أبا سَعيدِ (الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٣)

وعلق عليه: "ومن لطيفِ ذلك ونادره". وعد معه أبياتا أقل منه دون أن يوضح ما فيها من كناية.(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٣). والبيت كناية عن نسبه إذ جعل الإبل تأبى أن تزور كل كريم إلا أبا سعيد. (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٧٠). وموضع حسن الكناية أن الإبل وهي لا تعقل تأبى زيارة غيره وكأن كرمه يعرفه البشر وغيرهم.

الشاهد السادس عشر: مَتى تَخْلُو تَميمٌ مِنْ كَريمٍ ... ومَسْلمَةُ بْنُ عَمْروٍ مِنْ تميمِ. وعدّه أقل من البيت السابق.(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٣) والبيت كناية عن نسبة فبدأ البيت باستفهام وكأنه يقول: لن تخلو تميم من كريم وفيها مسلمة بن عمرو،" وذكر الممدوح ووالده تعظيما وفخرا ". (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٧٢)

الشاهد السابع عشر: إذا لله لم يَسْقِ إلاَّ الكِرامَ ... فسقَى وجوهَ بني حَنْبَلِ

وسَقى ديارَهُمُ باكِراً ... مِنَ الغَيْثِ في الزمن الممحل.(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٣)

والشاهد من باب الكناية عن نسبة، إذ أثبت صفة الكرم لهم حين نفى السقيا إلا عن الكرام وخصص الكرم ببني حنيل بقوله:"وجوه بني حنبل". (الظهار، ١٩٩٦م،ج٢، ص ٧٧٣)

الشاهد الثامن عشر: يقول عنه "ومنه فن غريب قول بعضهم في البرامكة:

سألت الندى والجود مالي أراكُما ... تَبدَّلتُما ذُلاً بِعِزٍّ مؤيَّدِ

وما بالُ ركْنِ المجْدِ أَمْسَى مُهَدَّما ... فَقالا: أُصِبْنا بابنِ يَحيى مُحمَّدِ

فقلتُ فهلاَّ مُتَّمَا عِنْدَ موتهِ ... فقَدْ كُنْتُما عبْدَيْه في كُلِّ مَشْهدِ

فقالا: أقمنا كي نعزى بفقده ...سافة يوم، ثم تتلوه في غد".(الجرجاني: ١٩٩٢ م، ص٣١٤)

ولم يوضح الجرجاني الكنايات في البيت. وهذا الشاهد الكناية فيه عن نسبة. "فقد تخيل أن الندى والجود شخصان فسألهما لماذا تبدلت أحوالهما ذُلًّا بعد عزٍّ وذلك لفقد محمد بن يحيى، فالجود فقد بفقده ، وقد زاد التشخيص من روعة الكناية.

ونلاحظ على تحليل الجرجاني لشواهد الكناية المختلفة ما يأتي:

- اقتصرت الشواهد على الأبيات الشعرية.
- اختصاص الشواهد على نوعي الكناية: كناية عن صفة، وكناية عن نسبة.
- غياب شواهد الكناية عن موصوف.
- اختلاف منهجه في عرض الشواهد فتارة يذكر البيت كاملا وتارة مجزوءا. ومره يذكره منسوبا وأخرى يعرضه بلا نسبة.
- اختلاف طريقة تحليله للشواهد بين الإجمال والتفصيل. بل في أحيان يترك التعليق عليها بالكلية. وهذه طريقة الجرجاني يضع للقارئ علامات يسترشد بها في التحليل والاستنباط.
- اهتم بالبيت ونظيره وهل هو بمستوى النظير السابق أم أقل منه .
- تعدد الشواهد الشعرية واختلافها.
- أهمل الجرجاني تحليل كنايات و لطائف بلاغية تتضمنها الأبيات التي أوردها في باب الكناية، ويحمد له في هذا الباب تركيزه على الهدف من سوق الشاهد من دون أن يشغل القارئ بشيء آخر.

ما لم يذكره الجرجاني:

أغفل ذكر القرينة التي تعد علامة فارقة للكناية عن المجاز. فالقرينة في الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي بخلاف المجاز. كما أغفل ذكر الكناية عن موصوف إذ جلّ الكنايات التي ذكرها تدرج فيما يسميه البلاغيون المتأخرون كناية عن صفة وعن نسبة لكنها شرحها ولم يسمها بهذا الاسم.

الخاتمة :

وقفت الدراسة على دراسة عبد القاهر الجرجاني لأسلوب الكناية في كتابه "دلائل الإعجاز". وقد أظهر البحث دور الجرجاني في بيان مزية الكناية وتفضيلها على التصريح وتأثيرها في النفس، وعلاقتها بمعنى المعنى. وقد أكثر من تحليل الشواهد وبيان جماليات الكناية في موضعها، وقد ترك أثرا واضحا في دراسات من جاء بعده.

ويعد باب الكناية من أبواب العلم التي تتأثر دلالاتها بتقادم الزمان، وتغير الاستعمال وخذ مثالا على ذلك قولنا: "تؤوم الضحى" كناية كناية عن ترف المرأة وغناها أما في وقتنا الحاضر في كناية عن الكسل.

المراجع:

١. شادي، محمد (١٤١٦-١٩٩٥م)، أساليب البيان والصورة القرآنية دراسة تحليلية لعلم البيان، دار روابي الإسلامية.

٢. السكاكي، يوسف (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣. القزويني، الخطيب (٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.

٤. المبخوت، شكري (٢٠٠٦م)، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر

٥. الميداني، عبد الرحمن (١٤٢٨هـ -٢٠٠٧ م)، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق.

٦. المصري، ابن أبي الإصبع (١٣٨٤هـ-١٩٦٣م)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.

٧. الجرجاني، عبد القاهر (١٤١٣هـ ١٩٩٢م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني.

٨. الظهار، نجاح (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، في (البلاغة والنقد)، نوقشت و أجيزت من جامعة أم القرى، العام الجامعي ١٤٠٧هـ-١٤٠٨هـ.